هنري فيلد

جنوب كردستان

دراسة انثروبولوجية

نقله الى العربية

جرجيس فتح الله

دار **ئاراس**
للطباعة والنشر

السلسلة الثقافية

صاحب الامتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران احمد حبيب

الكتاب: جنوب كردستان – دراسة انثروپولوجية
تأليف: هنري فيلد
نقله الى العربية: جرجيس فتح الله
*
من منشورات دار ئاراس– رقم: ٤٧
الطبعة الأولى – اربيل ٢٠٠١
رقم الايداع في المديرية العامة للثقافة والفنون في اربيل ٣٣ لسنة ٢٠٠١
مطبعة التربية ـ اربيل
*
الغلاف: شكار عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
الإخراج الفني: دلاوەر صادق أمين
إشراف الطبع: شيرزاد فقي إسماعيل
***

مقدمة الطبعة العربية

في العام 1951 طرق سمعي أن بعثة انثروبولوجية برئاسة الاستاذ هنري فيلد الى كردستان العراقية، وعلى نفقة جامعة (هارڤرد) في الولايات المتحدة، قد أنهت تحقيقاتها ودراساتها المستفيضة بعيداً عن الضجة الاعلامية وبتعتيم حكوميّ متعمد، واحتياطات امنية. ثم غادرت العراق بهدوءٍ مثلما جاءته.

والعادة المتبعة في مثل هذه البعثات العلمية أن تصدر كتباً او رسائل او تقارير بنتائج تحقيقاتها ومكتشفاتها بعد فترة من الدراسة والتصنيف. وهذا ماتم فعلاً بعد مرور سنةٍ واحدة او نحوها. ونشرت الدراسة فعلاً في العام 1952، بمجلدين في مدينة (كمبردج) بولاية مَساشوستس – عن متحف پيبودي للاركيولوجي والإثنولوجي التابع لجامعة هارڤرد
Pcabody Museum of American Archaeology And Ethnology, Harvard University.

تحت العنوان الموحد وبمجلدين:

انثروبولوجية العراق: شمال الجزيرة. The Anthropology Of Iraq (part: 2, Number 1) The Northern Jazira.

انثروبولوجية العراق: كردستان. The Anthropology Of Iraq (part: 2, Number 2) Kurdistan.

شمل اولهما التحقيقات والفحوص التي اخضع لها الكرد اليزيدية والتركمان الى جانب دراسة مماثلة لقبائل شمر والصّلبّة العربية.

وشمل ثانيهما الكرد والآشوريين. ضمن المنطقة التي سماها الاستاذ (هنري فيلد) في مقدمته (الجزء الاوسط من جنوب كردستان) وحدّدها كما ورد في مقدمته إذ قال:

"واحد من الدواعي الاساسية لبعثة متحف (فيلد الانثروبولوجية) الى الشرق الأدنى هو دراسة الاوصاف البدنية والقسمات الوجهية لكرد شمال العراق. ولما لم يكن لدينا غير القليل من المعلومات الانثروبولوجية عن هؤلاء الكرد. فقد تقرر اختيار مجموعات من الأفراد من المنفرجات الجبلية الأربعة: (زاخو) و (عقره) و (رواندوز) و (سليمانيه) للقطع برأي، هل ان هؤلا الكرد متجانسون عنصرياً أي من عرقٍ واحدٍ أم هم مزيج من اصول عرقية مختلفة، على ضوء السمات والقياسات البدنية".

بدأت هذه البعثة عملها في الواقع، بموسم تحقيق في العام 1934 وكانت تتألف من كلّ من الآنسة وينفريد سميتون. والانثربولوجي البدني السيّد (ريتشارد. أ. مارتن). والمصور الفوتوغرافي والخبير في علم الحيوان الزولوجيست (س.ي.شوكة) والمترجم والجَمّاعة النباتي البوتونيست، (يوسف لازار). والسائق والميكانيك (مهران) خلافاً لرئيس البعثة الاستاذ هنري فيلد.

وعلى مايبدو انها اضطرت الى تأجيل تحقيقاتها حوالي 15 سنة بسبب الاوضاع الداخلية غير المستقرة في العراق والحرب العالمية الثانية وسنوات ما بعد الحرب القلقة المضطربة. ثم عادت بعين الطاقم لاكمال ابحاثها وتحقيقاتها في العام 1950.

تشاء الصدف أن عاد من الولايات المتحدة احد ابناء عمومتي وكان في سنة الدراسة الأخيرة في معهد M.I.T التابع لجامعة هارڤرد. وذكر لي عرضا انه اطلع في مكتبة الجامعة على الكتابين اللذين اشرتُ اليهما. وكان ذلك في العام 1954 او 1955 على ما اتخطر. واكد لي انهما نشرا وهما يحلان اسم البروفسر هنري فيلد رئيس البعثة بعينه (Henry Field) كنتُ أعلم انه دراسات كهذه، ولأنها غير تجارية وذات طابع علمّي صرف، لا يُطبع منها الإ نسخ محدودة جداً لفائدة الخبراء والمختصين والباحثين فقط. وانه يصعب جداً الحصول على نسخة بصورة شخصية. الاّ اني تشبثت بالأمل ورجوته ان يعمل للحصول على نسخة لي مهما بلغ الثمن. وانقلب الرجاء الى توسل والحاح فقال انّ هناك طريقة واحدة فقط وهي في غاية الصعوبة بالنسبة اليه لكنه، سيحاولها. ووعد ووفى.

ولم تكن رغبتي الشديدة في اقتناء الكتاب بنية نقله الى العربية مطلقاً. وانما كانت مجرد نزعة فضولٍ من الاطلاع على الطريقة العلمية المتبعة في تقصي اصول الاجناس البشرية وهو ما يعرف (بالانثرولوجي) وكيفية القيام بهذا ميدانياً لاسيما لموطننا كردستان.

بعد ان ارضيت فضولي منه وجد الكتاب مكاناً له في رفوف مكتبتي. ولاادري ماالذي زين لي لأحمله معي الى مواطن الثورة عند التحاقي بها في العام 1968 مع كتب أخرى وقد عرضته على بعض الرفاق هناك وعلموا بوجوده وبدأ تحريضي على نقله منذئذ. ولا ادري ما الذي حملني على البحث عنه في مكتبة الجامعة الامريكية بيروت اثناء اقامتي الطويلة في تلك المدينة.

كنت اذ ذاك قد وفقت الى إصدار ترجماتي لكتب: "رحلة الى رجال شجعان" و "جمهورية مهاباد" وطبعة جديدة لكتاب "تراث الإسلام" وكتاب "تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي" وغيرها. وكنت في سبيل الاتفاق مع الناشرين هناك على اصدار كتب أخرى واحتجت الى مراجعة مكتبة الجامعة الامريكية. وسهل علي الحصول على الاجازة التي تمنح للكتاب والباحثين المعروفين لمراجعة الخزانة الخاصة في مكتبة الجامعة. وقد وجدته فيها. ولاعجب فامثال هذه الدراسات توزع عادة على الجامعات والمعاهد العلمية الكبرى. ولم يكن بالامكان استعارته. الاّ أن إقبال الناشرين على نشر ما اكتبه اغراني بمعالجة أمر نقله الى العربية فبعثت بطلبه من العراق ووصلني او ربما اخذته معي عند عودتي الى بيروت في رحلة تالية؟ لا ادري.

الا ان حماستي الوقتية فترت تماماً بردّ الفعل الذي لقي اقتراحي من الناشرين. فالكتاب بموضوعه لم يكن يغري أي ناشر تجارياً. وهو وإن لم يخل من طريف البحوث ولطيفها الا ان تكاليف طباعة ترجمة له مع مئات الصور التي حفل بها. والجداول وشجرات الانساب وما الى ذلك من تعقيدات طباعية كان كافياً لصدود أي ناشر على نشر كتاب كهذا لا يتوقع له رواج وتداول في البلاد الناطقة بالعربية. بل ليست موضوعاته بمركز اهتمام كبير من العربية. اضف الى هذا صعوبة اخراجه بالشكل المنشود بالوسائل الفنية الطباعية التي كانت سائدة وهي تعتبر بدائية بمقارنتها بما ارتقى اليه الفن الطباعي بدخول تكنولوجيا الكومبيوتر والتحسن الهائل الذي طرء على الطباعة عموماً.

الاّ اني وجدت كما حكمت الصدف متحمساً لنقل الكتاب بشخص الصديق المرحوم (علي كمال) الشخصية الكردية المعروفة الذي كان نزيل بيروت وقتذاك أي في العام 1971. نوهت له بالكتاب عرضاً واريته اياه وبينت الصعاب التي تحول دون اقدامي على طبع ترجمةٍ له. وصدود الناشرين عنه لاسباب مالية فبادر رحمه الله يعرض المساهمة المالية مع أي ناشر متبرعا ومن دون عوض وكتب لي رسالة اقرار بذلك وكان ممن وسع الله عليهم. قلتُ دعني اولاً اجرب حظي في الترجمة ممتحناً خلالها قدرتي في تقحم باب من الترجمة لاعهد لي بولوج مثله من قبل بكلّ المصطلحات التي حفل بها هذا العلم الحديث نسبياً. لاينجدني منه اكبر المعاجم العربية حجماً وتفصيلا، ولا محاولات تعريب المصطلحات التي تقوم بها المجامع العلمية في البلاد العربية بين آن وآخر. وساعني القارئ هنا عن وصف ايامي الأولى في الترجمة. وكيف كان يتنازعني العناد واليأس. الاّ أني مضيت قدُماً، وقطعت شوطاً كبيراً، لافاجأ بتلك الدسيسة الدنيئة التي اضطرتني الى مغادرة لبنان بالعجلة التي تنفذ بها القرارات الرسمية بالابعاد. تاركاً ورائي سائر مخطوطاتي واوراقي وهي تملأ عشرات من الدفاتر في عهدة (دار الحياة للنشر) لصاحبها السيد "يحيى الخليل" وبينها الجزء الذي ترجمته من كتاب الاستاذ (هنري فيلد) هذا.

وضاعت محاولاتي خلال السنوات التالية في معرفة مصير مخطوطاتي بله استعادتها. وقد نشبت الحرب الاهلية اللبنانية المدمرة وتعرضت بيروت بمبانيها الى القصف العشوائي المدّمر، لتقضي على آمالي في لقاء ما افنيت فيه العمر الطويل من الجهد المضني والعمل الشاق. ثم وقع أمرٌ لم يسبق به حدس ولم يحوّم في خاطر. وللاقدار من تصاريف مالايُستشفّ او يتمثل في خيال. فبعد عشر سنوات او نحوها ونحن في ايران منفانا. تعرفت الى السفير اللبناني الأستاذ "جعفر معاوي" وشدت بيننا

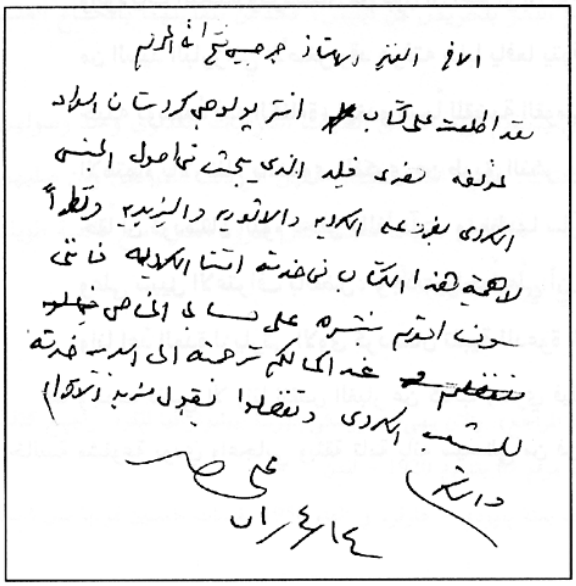

التأريخ 14-4-1971
صورة الرسالة التي وجهها السيد علي كمال الى مترجم الكتاب اثناء ماكانا معا في بيروت حول تعهده بطبعه على نفقته الخاصة ننشرها اعترافا باستعداده لخدمة ابناء وطنه عن طريق نشر الثقافة.

عرى مودة وصداقة في ظروف معينة. ومرة جاء ذكر اقامتي في لبنان فذكرت عرضا احد ناشري السيد يحيى الخليل فأسرع يقول انهّ من أقربائي. وعندها بسطت له أمر مخطوطاتي المتخلفة هناك. فعرض باريحية لبنانية وشهامة ساذكرها ما حبيت. أن ياتيني بمخطوطاتي كلها بالحقيبة الدبلوماسية وطمأنني بأنها ستكون سليمة لأن موجودات مكتب هذا الناشر نجت من غوائل تلك الحرب. ولا اطيل، فقد جاء السفير بمخطوطاتي جميعاً لم يفقد منها شئ وبينها الجزء الذي ترجمته من هذا الكتاب.

*** *** ***

لم يحتل الكتاب مكاناً من برنامجي عندما بدأت نشاطي القلمي بعد تركي ايران واستقراري في السويد في اواسط العام 1988 واشغلتني عن التفكير فيه مشاريع كتابية عديدة. الا انه كان ابداً بين اوراقي ودفاتري، يذكرني بما عانيتُ وقاسيتُ من إحباط. فأهمّ باتلافه في محاولة ازاحته من ضميري نهائياً تخلصا من ذكر المصاعب التي تكبدتها ابتداءً من الحصول على الأصل وانتهاء بالمتاعب التي واجهتني في ترجمة مصطلحاته.

وفي العام 1998. وانا في السويد. حمل الي الرسول الصديق الدكتور شوكت البامرني رغبة السيد نيچيرڤان البارزاني في اصدار طبعات جديدة لكتب ستة بعضها يعود تاريخ اول طبعة له الى اكثر من ربع قرن. مفاجأة لم اكن مستعدا لها. وكانت قد تأسست برعايته دار ئاراس للنشر، انطلقت بما يشبه الثورة الثقافية في اصدار مختلف الكتب وثمار القرائح. كان مثار دهشتي وغبطتي معا اللجوء الى الاسلوب الشرعي المؤدب بالطلب مع عرض العوض المالي. وقد تعودت ان اجد طبعات من كتبي تصدر في لبنان والولايات المتحدة وكردستان من دون أن اعلم او ان يؤخذ رأيي. بل ودهشتي الكبرى هي في ان يصدر ذلك من السيد البارزاني الأصغر وقد عرفته شابا يافعا يتوقد ذكاء وحبا للمعرفة ونحن في بلاد الغربة. وفي حينه توسمتُ فيه الكفاءة؛ ليغدو كسباً للقضية القومية. وهكذا كان إلاّ اني ما عهدتُ فيه ابداً هذا الاهتمام بالارتفاع بالمستوى الفكري عن طريق النشر وبهذا الشكل.

حقاً ان كردستان اليوم تحفل بالمفاجآت. ومعظمها سارّ يبهج القلب ويشرح الصّدر.

وعلى سبيل الاعتراف بالفضل، وجدت واجباً علَّي أن افكر بما اقدمه للسيد نيچرڤان مع سبيل العوض وانا اعدّ العدة لزيارتي الاولى كردستان تلبية للدعوة التي شرفنّي بها الرئيس مسعود البارزاني.

فما وجدت نفسي إلا وانا انفض الغبار عن كتاب (هنري فيلد) لأكمل الترجمة واقدّمها لمن تَذَكَّرني وذَكَرَني، هديةً خالصةً مشفوعةً بودي واعجابي وبثقة تامة بانه سيحظى من فن الطباعة المتقدم هنا العناية الحَرّية بها.

جرجيس فتح الله

مصيف صلاح الدين 2001/2/11